الفصل التاسع

وفي المشفي.. وفي إحدي الغرف؛ أنينٌ غير متوقف.. شخصٌ مطروحٌ على فراش ليس بنائم ولا يقظان.. وإنما هي تلك الحالة المصاحبة للمرض، حيث ألــم في الرأس وجميع الجسد.. ألمٌ لا يجعله بنائم أو يقظان.. فقط ألــم غير متوقف.

وجسده نصفه السفلي عليه غطاء.. وأما يده فمليئة بدماميل مكتملة وتقرحات.. وكذلك وجهه عند شفتيه وأذنيه.. وظاهر أن جسده كله كذلك مملوءٌ بالتقرحات والدماميل.. ومع أنين المريض ذاك؛ يُسمع صوت خنفرة خافتة آتية من فمه غير مكتملة.. وهذه الخنفرة غير مكتملة بسبب تلك الأشياء المتراكمة في فمه من تقرحات وغيرها.

بدأ هذا المريض ينتبه من معانته وعذابه ذاك على ألمٍ يفُت عظامه.. بدأ ألــمه يرتفع وتأتيه رجفة ورأسه يُحلق بها ببطء.. يُحلق بها تارة يميناً وأخرى يساراً من شدة الألم والعذاب الذي هو فيه.. ويظهر على هذا المريض أنه يجد صعوبة في أخذ نفسه رغم تلك الأنابيب التي في أنفه والتي تمده بالهواء.

يا ترى.. ما هذا الألم الذي يشعر به هذا المريض؟ إذا ما أراد أن يُحرك بعض جسده؛ فصعوبة الدنيا في ذلك.. صعوبة في التحرك مخلوطة بذلك الألــم الذي يفتّ العظام.. وعلى هذا الألم الغريب؛ يتكلم هذا المريض ببعض الكلمات قائلاً:

_ الويل لي.. يا ويلي !

* * *

وصل الجميع إلى غرفة آدم.. فوجدوا أحد الرجال واقفاً خارج الغرفة.. ويبدو أن هذا الرجل هو الذي كان واقفاً مع المحترم منذ ساعات أمام غرفة دانيال.. وما إن وصل المحترم إلى غرفة آدم ؛ حتى أخذ ينظر من خلال النافذة فأصابه الفزع والهول عندما رآى آدم ؛ فبدأ يتكلم بكلام بصوت منخفض يستعيذ فيه بالله.. أتى دانيال متأخراً؛ فأخذ ينظرإلى آدم من خلال النافذة؛ فرأى شخصاً مغطى بالتقرحات والدماميل؛ فأخذ يمعن في النظر من هول المنظر وقد أصابه الفزع.. ثم قال:

_ ماذا به؟

قال المحترم وقد بلع ريقه:

_ إنه مُصابٌ بالايدز.

فقال دانيال وازدادت فزعته:

_ يا إلهي !!

الكل واقف ينظر .. ثم قرر المحترم أنه سيدخل على آدم الغرفة؛ فقال الطبيب يحيى:

_ لا أيها المحترم! هذه غرفةٌ تابعة لقسم الحجر الصحي.. ولا يدخلها أحد إلا بوقاية ولباس خاص معقم.

نظر المحترم إلى الطبيب يحيى؛ ففهم يحيى أنه أيّاً كان فإنه سيدخل.. فقال له يحيى:

_ تعال من هنا أيها المحترم !

فأخذه وألباسه وعقَّمه ودخل معه.. ثم مشى المحترم ناحية آدم.. ووصل عند سريره وأخذ في نزع القفازات الواقية؛ فحاول الطبيب يحيى بأن يمنعه؛ فقال له المحترم:

_ فقط لا تخبر أحداً ولا تفعل مثلي!

ومدَّ يده بحذر ليأخذ بيد آدم المليئة بالدماميل والتقرحات.. والمحترم كان حذراً لئلا يكون يؤلمه وليس خوفاً من الدماميل والتقرحات. أدخل المحترم إحدى كفيه تحت كف آدم ووضع الأخرى فوقها.. يشعر آدم بيـدٍ عارية تحسه.. شعر بها رغم كل تلك الألآم الجسدية والألآم النفسية التي تنتابه في تفكيره ومخيلته والصرخات التي يسمعها.. وكل هذا بسبب الخلل الذي في جسده1 .

يحاول آدم فتح عينه بصعوبة بسبب تلك التقرحات حتى على جفونه.. ثم قال بعد أن فتحها بصعوبة:

_ العذاب وقع أيها المحترم !!

وقعت كلماته على المحترم تزلزله.. واقشعر جسده وامتلئت عيناه بالدموع.. وحاول جاهداً أن يتمالك نفسه وقال:

_ عرفتني يا آدم حتى دون أن تنظر إليَّ.. حتى إنني لم أتكلم أصلاً !

---

1 _ وبسبب المرض الذي في جسد "آدم"؛ اتخذ إبليس اللعين مخيلة "آدم" مسرحاً ليمسه بالألآم والعذاب والصرخات.

قال آدم :

_ العذاب أذوقه ألواناً وأشكالاً.. إنها البداية بلا رجوع.

تكلم آدم بخنفرة وانسدادٍ في حلقه أسكته.. وانقطع نفسُه وحاول إرجاعه.. وتساقطت دموع من عيني المحترم.. وعمَّ الصمت طويلاً إلا عن تألمات آدم.. المحترم لازال واقفاً ولكن الطبيب يحيى ذهب؛ فقد جاءته منادة على هاتفه.. وأما دانيال وإلياس فهما واقفان بالخارج ينظران من النافذة هما وصديق المحترم.

توقف أنين آدم ليقول:

_ الويل لي.. إنني من الظالمين.. يا ويلي!

وسقطت دمعتان من عينه ولا قدرة له على غيرهما.. فهو حتى لا يستطيع البكاء! تدارك المحترم نفسه وقال :

_ آهٍ يا حبيبي آدم.. قلبي يتفطر على حالتك!

سكت المحترم قليلاً.. ثم قال:

_ أولست تؤمن بالله يا آدم؟

قال آدم.. ومازال يواجه صعوبة في التكلم:

_ وهل تحسب مثلي.. جابته أفعاله إلى ماترى من العذاب.. أن يكون له إيمان؟!

حاول آدم أن يغمض عينه من شدة الألم.. ثم قال وهو مغمض؛ فلم يستطع فتحهما:
_ لم أعبأ بكلامك لي أيها المحترم.. فهل تذكر عندما قلت لي إن الله يغار عليَّ.. ولا يرضى أن أكون لواطي؛ لأن أفعالي تنتهك حماه ومحارمه.. وعليَّ أن أحذر وإلا فإنني سأذوق العذاب نتيجة أفعالي؟ ولكنني لم أستمع إليك بل تماديت في ظلمي.

وفي أثناء كلامه؛ أصابه السعال.. فأخذ يسعل وبدا عليه وهو يسعل بأن شيئاً ما سيخرج من حنجرته بسبب تلك التقرحات والدماميل التي في داخل فمه.. ثم توقف عن السعال وضغط على فكيه بعدما أحسَّ بأن مخه سيطير فحاول تثبيته بالضغط على فكيه.. ثم قال المحترم:
_ مهما يكن وفعلت أو تماديت أو ظلمت نفسك! إن الله يغفر كل ذنب.. وليس هناك ذنب له أن يتعاظم على رحمة الله ومغفرته.. بل إن الله رحيم عظيم الرحمة يغفر الذنوب جميعاً.

أتت آدم رجفة ولا يُعلم أكان يستمع للمحترم أم ماذا! ثم سكن وهدأ نسبياً بالقياس مع الحالة التي كان فيها.. وبعد هنيهة مشى المحترم إلى المرحاض الذي في الغرفة.. ثم خرج ويظهر أنه غسل وجهه وذراعه، وقبعته كانت منزوعة.. لمح آدمُ المحترمَ فقال له في زفير وشهيق باءنين:
_ ها أنا ذا أحاول أن أصبر على ما أنا فيه؛ فلا أجد للصبر نفعاً مع هذا الألم.. ثم أبدأ في الصرااخ من شدة الألم؛ فلا أجد في الصراخ نفعاً هو الآخر ولا هو مذهب عني ما أنا فيه.. الويل لي! إن عذاب الأخرة درجات فوق ذلك.

قال المحترم وكله إشفاق:

_ مادمت نادماً على ما كان منك من الذنوب؛ فأنت لست بمُعذب في الآخرة.. وواجب عليك أن تطلب التوبة من الله وأن يغفر لك ويعفو عنك.

يحاول المحترم أن يُخفف عنه ما استطاع.. وأخذ يحاول أن يُعلمه دعاء يدعو الله به؛ لعله سبحانه يُفرج ما به من المرض فقال:

_ يا آدم ! قل ورائي ما سأقول؛ فلعل الله أن يُفرج ما بك !

استفتح قائلاً.. وكان الكلام مصبوباً وكأنه قد أُسيل من القلب:

"يا تواب !

إني عبدك .. خلقتنى ثم ما كان مني إلا الغفلة وعدم المبالة.. تماديت ظالماً مجرماً وقد أمهلتني وسترتني.. ولكني لم أتوقف أو أعود.. بل تطاولت في الفُحش وظلمت نفسي زيادة.. ومن شدة ظلمي أنني فتنت غير في أمر اللواط فصرت مرشده للضلال وسبباً له حتى ضلَّ.

بدأ وبال أفعالي وبدأ المرض يُخيِّم على نفسي وجسدي.. لكنني ركنت إلى أن ذلك عارض وسيزول كالعادة.. ولكنه لم يكن عارض كما اعتقد؛ بل كان العذاب الذي كنت أتجاهله.. أعوذ بوجهك يا أرحم الراحمين! أعترف بعظيم سترك وإمهالك لي.. أعترف بما ظلمت به نفسي.. انصرني وأعذني من شر ما فعلته وصنعته يا أرحم الراحمين!

يا أرحم الراحمين ! كل الأسباب تُظهر بأني ولا محالة غير ناج من مرضي هذا الذي أُصبت به.. وأنه لا مفر منه.. إلا أنني ما زال عندي أمل ورجاء في أن تنجيني برحمتك.. عندي أمل في رحمتك وقد اجتمعت كل الأسباب بأن أُلقى في الجحيم.. انصرني ونجني مما أنا فيه وما حلَّ عليّ من المرض والعذاب.. ارحمني واعف عني واقبل توبتي.. إنك على كل شيء قدير!

عمدَّ المحترم إلى مقعد ليجلس وترك آدم على إعياءه وتسليمه.. جلس المحترم وخرَّ بذقنه حتى أسنده إلى صدره.. وأخذ يكرر ما قاله الله تعالى وكأنه يراه:

_ ورحمتي سبقت غضبي..

ثم جاء صوت من جهة آدم وكأنه يدعو ويقول:

_ رب ارحمني! رب اعف عني.. رب اقبل توبتي.. ربِّ اكشف عني الضُرَّ إني عائد تائب إليك! اجعلني آية منك.. آية منك على عظيم عفوك ورحمتك.. آية منك أُحذر من هم أمثالي من اللواطين من العذاب الأصغر قبل العذاب الأكبر في الآخرة.. العذاب الأكبر حيث الشعور فيه بالغثيان أضعاف مضاعفة ما أنا فيه الآن.. الدماغ ستغلي في العذاب الأكبر.. البطن والأمعاء ستتقطع.. الوجهه سيُشوى.. وظلٌ من الدخان لعين لا ظل فيه.. ورائحةٌ منتنة.. وصرااخ من شدةالعذاب الأليم!!

يا أرحم الراحمين ! أُحبني برحمة منك واجعلني ءاية منك أصيب بها من خلفي برحمتك يا رحييم!!

سمع المحترم آدم وهو يدعو.. ثم أخذ على شاكلته يدعو. وبعد حين خرج المحترم من الغرفة فوجد أن إلياس قد ذهب.. وأما دانيال فوجده جالساً وساناً رأسه إلى الحائط خلفه.. ووجد يوسف صاحبه قد غلبه النُعاس فنام؛ فأيقظه المحترم ثم مشوا ناحية غرفة دانيال.. ثم أخبرهما أنه ذاهب لقضاء حاجة ولا داعي لأن يذهب أحد معه.

أخبر دانيالُ يوسفَ قائلاً:

_ يمكنك أن تنام هنا _وأشار ناحية السرير_ وليس هناك أي إحراج عليك.

قال يوسف:

_ وأنت.. ألن تنام الآن؟

قال دانيال مبستماً:

_ لا.. سوف أظل مستيقظاً وسأنتظر المحترم حتى يأتي.

مكث المحترم حيناً من الوقت ثم عاد وشيء معه في يده.. فدخل الغرفة؛ فوجد يوسف على السرير نائماً، ودانيال جالس على الأريكة.. رأه دانيال فاعتدل في جلسته.. فألقى المحترم عليه التحية ثم قال:

_ هل تعرف ماذا أحضرت؟ أحضرت كاميرا من أجل أن أصور آدم على حالة المرض التي هو فيها.

فقال دانيال:

_ ولماذا ذاك أيها المحترم؟

قال المحترم:

_ أريد أن أصوره وأحتفظ بتلك الصور حتى إذا شُفي من مرضه؛ لم ينسى ما كان فيه.

قال آدم:

_ هل من الممكن الشفاء من هذا المرض أيها المحترم؟

قال المحترم:

_لا أحد يعلم! فكل الأسباب تُظهر أنه لا شفاء من هذا المرض.. ولكن الله هو ربُّ الأسباب.

سأله دانيال قائلاً:

_ كيف تم لآدم أن يتمادي في أمر اللواط حتى يصل إلى ما هو فيه؟

أجابه المحترم قائلاً:

_ هيا لنذهب سوياً إلى غرفة آدم وسأخبرك ونحن نمشي.

خرجا من الغرفة متجهين إلى ناحية آدم.. وفي الطريق قال المحترم:

_ هؤلاء الأحباب اللواطيون مربطون فكرياً وجسدياً.. ويحتاجون من يُريهم قيدهم ويفكه لهم.. ويُوقظهم من غفلتهم ومن نومهم وإلا أيقظهم العذاب أو الموت.

قال دانيال:

_وكيف يتم فك قيد هؤلاء الأحباب؟

أجاب المحترم:

_ أعتقد أنه واجب علينا أن نُنشيء مكان خاص.. مكان خاص نسميه روضة.. فيستطيعوا في هذا المكان أن يروا قيودهم ويفكوها ويعودوا لطبيعتهم ورجولتهم.. يعودوا إلى رجولتهم

ويثقوا في أنفسهم ورجولتهم حتى ولو اجتمع أهل الأرض كلهم يُريدون إرجاعهم إلى اللوط؛ فلا يبالوا لهم.. بل يكون لسان الواحد منهم: ما بال الناس هكذا مجتمعين قد ازدحموا وأغلقوا الطرقات يريدون أن يرجعوني إلى اللواط ولكني لست أبالي لهم.. لا أبالي لهم لأنني مشغول جداً بحبي للنساء وما يمكنني أن أفعله بهن.. ماذا أصابهم هؤلاء الناس؟

قال دانيال ضاحكاً من وصف المحترم:

_ لماذا قامت وصارت شهوة هؤلاء الأحباب معكوسة؟ ولماذا نشزت أنفسهم وخرجت عن مسارها؟ ولماذا لا تقوم وتنصب شهواتهم في مسارها مسار الرجال؟

أجاب المحترم قائلاً:

_ كل هذا بسبب جُرح قد جُرحت إيّاه أنفسهم في مكان العورة.. في مكان الدبر.. وكان السبب في هذا الجُرح أنهم تعرضوا للاعتداء وللانتهاك في صغرهم؛ فبقي أثر هذا الجرح وأتي الشيطان اللعين ورسم للنفس الإعوجاج فاعوجت.. وزين اللواط لهم فاتبعوه.

قال دانيال:

_ أولم يكن هناك من شيء ليقف في وجه هذا الشيطان اللعين ويمنعهم من الوقوع في اللواط؟

قال المحترم:

_ بالطبع يوجد من يقف في وجه الشيطان اللعين! وهي النفس الإنسانية بفطرتها.. والفطرة الإنسانية عندها القدرة على التحمل واللوم وتصحيح الشذوذ.

قال دانيال:

_ ولماذا لم تمنعهم أنفسهم من الانجراف والوقوع في اللواط؟ ولماذا لم تقف تلك النفس أمام الشيطان اللعين؟

قال المحترم:

_ البيئة والنشئة التي عاش فيها هؤلاء؛ هي التي تسببت في خروج فاحشة اللواط.. وهي التي سهلت الأمر كثيراً جداً؛ لأنها بيئة لا يوجد فيها من يُراقب الصغار ولا يعرفهم ما يجب فعله وما لا يجب فعله.. ولا يوجد في تلك البيئة أيضاً من يعرفهم الأمور التي هي من الفطرة والأمور التي هي من الشيطان.

قال دانيال :

_ وكيف هو عمل الشيطان اللعين في اللواط؟

قال المحترم:

_ كل عمل الشيطان اللعين؛ هو أنه يأتي على مواضع الجروح النفسية ويوقظها.. وأنه يُذكر النفس بما حدث معها من مواقف انتهاك واعتداء، وحب النفس للقرب والحنان؛ فيأخذ من كل تلك الجروح وكل تلك المشاعر؛ مشغلاً يرسم فيه اعوجاجه لإيقاع هؤلاء في فاحشة اللواط.

قال دانيال:

_ هل الشيطان له قدرة فعلاً على أن يوقعهم في هذه الفاحشة؟

قال المحترم:

_ الشيطان ليس له قدرة حتى يبتكر تلك الفاحشة؛ بل كل عمله هو أنه يأتي ويوسوس لهم عن طريق ما جربوه وتذوقوه فقط.. ولأن الناس ليس عندها زاجر يزجرهم أو رادع يردعهم؛ فإنهم سوف يتبعون سبيل الشياطين من دون أي عائق.

ولتعلم يا دانيال!

أن الشيطان أخرق وبليد بفطرته.. وليس بذي قدرة حتى يستطيع ما يستطيعه.. وإنما هكذا خلقه الله وجعل له أن يتذكر أفعال الإنسان، ولكل إنسان؛ شيطان يُصاحبه مدى الحياة.. فيبدأ اللعين من هاهنا وسوسته وإيحاءه ما يوحيه.. ويبدأ يُزين الفاحشة والعدوان.

واعلم أيضاً يا دانيال! أن الشيطان غاوي لا يتوقف عن إغواءه.. وأنه ليس له قدرة على أن يصور للإنسان تصورات لم يراها من قبل.. بل هو يعمل على ما هو مخزون في ذاكرة ذلك الإنسان.

وصل المحترم ودانيال إلى غرفة آدم.. فدخل المحترم إلى الغرفة وكان آدم على حالته السابقة ولم ينتبه للمحترم.. ثم أخذ في التقاط صورٍ له على تلك الحالة.. ثم جلس المحترم على كرسي وأسند ظهره إلى الوراء وأغمض عيناه.. ولم يمكث طويلاً ثم قام خارجاً.

* * *